### ثلاثة كتب جديدة بالانكليزية للناقد محسن الموسوي:

# الثقافة العربية في التيار الأساسي للنقد الثقافي العالمي

**بثينة خالدي***

■ صدرت هذا العام مجموعة جديدة من مؤلفات الدكتور محسن الموسوي باللغة الانكليزية، صرف عليها السنوات الأخيرة بحثاً ودرساً وتحليلاً: أولها كتابه الذائع الآن في أوساط أقسام تدريس العربية وعلومها والدراسات الشرق أوسطية. ذلك كتاب ( الرواية العربية ما بعد الاستقلال) أو (رواية ما بعد الاستقلال العربية). ونشرته دار Brill المعروفة بسلاسلها في الاسلاميات والنصوص الأساس في العلوم العربية. ودخل الكتاب طبعته الثانية. أما الكتاب الثاني فصدر عن دار روتلج البريطانية – الأمريكية بعنوان (الشعر العربي: جادات القدامة والحداثة). أما الثالث فهو (قراءة العراق: صراع الثقافة والسلط(، وصدر الأخير عن دار أي. بي. تاورس وبلغريف. ويقع الكتاب الأول في قرابة ستمائة صفحة، وفي عدد من الفصول الغنية بمباحث نظرية لم يألفها النقد الأدبي العربي من قبل. فنظرية ما بعد الاستقلال، كما يكتب الموسوي، لا تعني المرحلة الزمنية التي تقترن بالتحرر السياسي، وانما هي منحنى ثقافي له علاقة بالوعي التحرري، أو الوعي العميق بمسببات تحرر الذهن وانعتاقه. هذا الانعتاق يتم في مجالات يسهب المؤلف في متابعتها تحليلاً وتفصيلاً. فالذهن العربي الذي ترصده فصول الكتاب هو الذي يأتينا سرداً، والسرد عند ذلك لم يعد فقط انعكاساً للمجتمعات، انه استيحاء لمكنونات ذاتية وجماعية، فردية واجتماعية، وطنية وقومية ودينية أو معتقدية تنشأ على مراحل وتظهر أو تغيب على مراحل. والتاريخ يبدو مهماً من خلال هذه الاعتبارات والمحطات وليس خارجها. السرد، أو الأدب الروائي، اذن هو مجال واع حتى وان كان هذا الوعي هو ما يسميه الدارسون الجدد (الوعي السياسي الغائب).

يحشد الموسوي اتجاهات هذا الوعي المعلن والغائب في ستين رواية أو أكثر، ويقدم قراءات مفصلة لكتابات لم يتكرر ذكرها من قبل، من بينها رواية الدكتور ابراهيم لذو النون أيوب، وروايات عراقية ولبنانية ويمنية، بالاضافة الى الروايات المتداولة. و غالباً ما يتم أخذ الروايات التي تفصح عن مساقات (رواية ما بعد الاستقلال)، أو الوعي المتحرر القادر على تخطي حدود معينة تشتغل ككوابح تعيق النوع أو الجنس أو المعتقد أو السلوك.

ولشد ما استهوتني بعض الفصول التي تخص المرأة. فالكتاب يتناول موضوع شهرزاد بصفتها ( مجازا) تجتمع في داخله قضية الوعي المذكور، أي موضوع الكتاب. انها المجاز الحاضن لهذا الوعي وطرائقه في التحرر والانطلاق. و لا غرابة أن يكون الفصل الأول والأخير يتخذانها عنواناً. فالأول يبحث في القضية، أي قضية شهرزاد مجازاً (استقلالياً)، والأخير يتخذ من ليالي ألف ليلة لنجيب محفوظ خاتمة للمناقشة لما تنطوي عليه رواية محفوظ من جمع لخيوط متناثرة ومبعثرة. محفوظ الذي لم يكن شغل الكتاب الشاغل ظهر في الفصل الأخير كأنه المجاز البديل، الذكر الذي عز عليه أن يبقى خارج الضوء، فعاد لتوليف الحكايات وجمعها في رواية واحدة تعنى صراحة بقضية التحرر من حكم الرجل الواحد، الأسد الهصور، والقبول بالشراكة ما بينه وبين المرأة والناس. خاتمة أراها موفقة لقراءة الوعي العربي. لكن الكتاب فيه فصل واسع أيضا عن كتابة المرأة، وفيه عن المكان والزمان، وكذلك الغرب والشرق، والهامشيين وأنماط السرد. الفصول العشرة هي حشد لذيذ وممتع لمعرفة عميقة، ومؤلف غني، تعتز به المكتبة العربية، كما تعتز به المكتبة الانكليزية الآن، فهي تحتفي بمجهودات الموسوي. كانت جامعة ييل التي أعمل فيها قد دعت المؤلف في السابع عشر من أفريل 2006 ليعقب على هذا الكتاب الذي أصبح مقرراً دراسياً في عدد من أقسام الدراسات العربية الاسلامية والشرق أوسطية. و ألقى الموسوي محاضرة موسعة عرضت قليلاً للكتاب، لكنها كانت تعنى بما يمكن أن يضيفه في كتاب لاحق، فلا نهاية لهذه الرحلة المعرفية، كما يقول في تقديم محاضرته.

والأهم في هذا الكتاب يتعدى الاطار النظري، أي الوعي السردي العام، من خلال التركيز على شبكة واسعة من استراتيجيات الكتابة، كما يسميها المؤلف. ويرى أنها تتحرك كمكونات مادية هي الأخرى تتخطى الشعر، وتبني لنفسها دوائرها ودوافعها الخاصة: فكل مجال له لغة، ولكل لغة ثقل ما، ونستجمع الكلمات والعلامات نفسها، كما يعرض الكتاب، في بؤر رؤيوية مكثفة، تجعل من هذا الوعي قائماً باستمرار، فارضاً حضوره على القارئ. ولربما يلتقي القارئ بقطار في (موسم الهجرة الى الشمال) للطيب صالح، أو بقطار في (الدكتور ابراهيم) لذو النون أيوب، ويتصور أن أمره عابر. الكتاب يقول لا. انه وعي بالماكنة، جاء مبكراً في مناطق لم تلحق بالركب الصناعي والمجتمع التجاري الحديث الا قريباً. أما ما يدور داخل هذا القطار فليس غير تكثيف للابتداء والمرور والعبور الى الضفة الأخرى، المجتمع الآخر. الكاتب يريد أن يقول أن الرحلة ليست من مجتمع رعوي الى مدني، انما هي وعي بالذات، شديد وكثيف، فلم يفرح الصبي السوداني في ذلك المشهد باجادة القس للغته الانكليزية، وانما شعر بما تحتمله من افتراض معاكس أيضاً. الهوية تتأكد من خلال المقارنة والمعاكسة، كما يقول المؤلف، أما في (الدكتور ابراهيم) فالمناقشة الجارية داخل القطار تصنع مثقف الصفوة، الهجين الامبراطوري، أمام مغامرته الجديدة: أي، كيف يتلبس قناع الامبراطورية؟ تأكد له أن الأمر ليس سهلاً، وأن أهل البلاد يميزونه عنه حتى عندما يحمل شهادة الدكتوراه من جامعة لندن ويتزوج امرأة انكليزية يقول له أبوها (لشد ما تبدو انكليزيا لولا لون بشرتك!). الاندماج الكلي مستحيل، هكذا يرى ذو النون أيوب في كتابة رائدة في (رواية ما بعد الاستقلال). ويعرض الكتاب لقضايا أخرى مختلفة تخص التعلم، ورحلة التربية التي تتكرر في الولايات المتطلعة الى التغيير.

وبينما يبدو المنحى الذاتي للاندماج بالمعرفة الجديدة واضحاً في عشرات الروايات بقلم الذكور والاناث، ثمة دور للمجتمع التقليدي لتكريس التاريخ، الوعي به، في لحظة أريد فيها للدولة القومية أن تظهر قوية بجيل قوي يعي امكاناته الثقافية، هذه الرحلة الشاقة هي مادة روايات عديدة خصها الكتاب بالذكر والدرس، كما خص ظهور الوعي الأنوثي بالاهتمام، والكتاب لا بد منه لفهم معنى مجتمع ما قبل الدولة القومية، وظهورها، ومحنها، كما لا بد من قراءته لنتحرر من فرضيات عادية ألحقت تخلفاً بالنقد وممارسته. فكتب الموسوي كما يقول في تقديمه لهذا الكتاب: تريد أن تجعل الأدب العربي في المساقات الأساس للثقافة العالمية الحديثة، لكي يقرأ ويفهم ويستوعب، وهذا يعني أدوات في التحليل والمعالجة تتيح مثل هذه النقلة وتيسرها للقارئ الأجنبي.

وليس كتاب (الشعر العربي: جادات القدامة والحداثة) بأقل من سابقه اهتماما بهذا الهدف. نحن لا نقرأ هنا استعراضا لمجموعة أسماء وقصائد قديمة أو حديثة ـ لا. الكتاب، كما يصفه الكاتب كقديمه، لا يختار مفردة جادات أو مسالك عبثاً. الطريق والغابة، الاشتباك والتقاطع، الاستمرارية والانقطاع، هذه هي محركات الكتابة في ثمانية فصول شغلت 326 صفحة. ويعني الفصل الأول بمعنى الجادات الشعرية، وقضية الحداثة والعلمنة، والعامل الحداثي.

أما الفصل الثاني فيخص ازدواج الموروث والحداثة، وتجسيدات ذلك في الذكريات والأقنعة والترجمة، والانشقاق، ومشاهد الائتلاف والفرقة في الشعر الحديث، وعودات الأسلاف في الشعر. ويتعامل مع شعراء مختارين من هذا المنظور. أي كيف يطل الأسلاف ثانية ؟ ولماذا هذه الاطلالة ؟ وكيف يعرض لهم الخلف ؟ وما علاقة ذلك بالمدونة التاريخية؟ أما الفصل الثالث فهو خاص بالاستراتيجيات (الشعرية)، ولا سيما بعتبات القبول والرفض. ويتم ذلك من خلال قراءة متمعنة في القصائد، عمودية أو حداثية، لاستطلاع هذا الاشتباك ما بين الماضي والحاضر. أما الفصل الرابع فيرى أن الشعر يمكن أن يكون ( حواريا) اذا أراد الشاعر ذلك، وما تعدد الأصوات في قصائد معينة الا امتحان لوعي اجتماعي سياسي في لحظة ما من عمر الدولة القومية. ولهذا لا يبدو الأسلاف غائبين ضرورة، كما يناقش الفصل الخامس، الخاص بالاهداءات. وتجري هنا اضافة فريدة للنقد الأدبي، ليس العربي فقط، انما الغربي أيضاً، الاهداءات ليست شكلاً، وعتبات، ومحطات فحسب. لا. انها شديدة التعقيد. واعترف أنني كلما تمعنت في هذا الفصل أرتجت لدي فرضيات قديمة. نعم لم تعد القراءة الشكلية الفرنسية كافية.

ولا قراءة هارولد بلوم النفسية. نحن هنا بازاء نقد كثيف فعلاً يعطي أهمية كبيرة للشعرية العربية ويرتقي بها نقدياً. لابد للقارئ أن يلم بمعنى أن يهدي البياتي قصيدة لحاوي ليفهم ما أقول، أما الفصل السادس فيخص (شعرية المنفى). وليفرح أهل المنافي وهم يرون المؤلف يقيم لهم أوطاناً شعرية من خلال قراءة متمعنة لكتاباتهم. عدد كبير من الشعراء يحضرون هنا، لا محمود درويش وحده، أو البياتي، وانما هناك أمجد ناصر ونيازي وعدد من الشاعرات. الشعراء يظهرون في هذا الكتاب بأعداد ليست اعتيادية، لكن هذا الأمر لا يعد مثلبة. نحن نحتاج الى أجيال متفاوتة تطل على الساحات المثقفة الغربية. أما الفصل السابع فيريد أن يحسم العلاقة بالغرب وت. اس. اليوت خاصة. فلماذا هذا الولع؟ وكيف توقف؟ ومن رواده أصلاً؟ وفي أية مرحلة؟ والأهم كيف تجسد شعراً؟ وما يعنيه التفاوت مع اليوت تارة والأخذ عنه تارة أخرى. ولكني أضيف، أن الفصل جعلني أعجب باليوت، بقدر اعجابي بالشعراء العرب. ولا أظن أن هذه حالة سلبية : اذ لا يمكن للنقد أن يتجلى مؤثراً الا من خلال الايمان بما يناقش.

والفصل الأخير ينتهي باستجماع خيوط القدامة والحداثة، نظريا: من خلال قراءة ملخصة للنظرية الشعرية العربية. وتطبيقياً من خلال رؤية الافتراق عنها في الشعرية الحديثة. هنا ترد أمثلة من التقاطعات الشعرية، لا سيما في الشعر الحديث، وهي تسترجع القديم أو تلغيه. ولمن يريد ان يعرف كيف تشتغل الذاكرة الشعرية عليه أن يقرأ هذا الفصل ليتحرر من الكلام الذي درجنا عليه لفترة ليست قصيرة. الآن النقد له أسس، وله مسند نظري، وركائز الاجتماع .... علينا أن نهيىء للخطوة القادمة. وكفانا الحشو الذي لا معنى له. وكتاب الموسوي يضعنا في الطريق الصحيح، ولنا أن نأخذ منه فنحن أمام جهد نقدي عميق وجاد، كما قالت الدكتورة أمينة غصن في جريدة الحياة (11 ايار ـ مايو 2006).

الكتاب الثالث الذي صادف نشره هذا العام أيضاً والذي يقول المؤلف إنه على خلاف الكتابين السابقين اللذين شغلا الفترة من 1996 الى 2003، فهو حصيلة السنوات التالية. والكتاب اتخذ عنوان (قراءة العراق: صراع الثقافة والسلطة). أو يمكن أن نضع له عنواناً ينقل لنا معناه كما جاء بالانجليزية: كيف نفهم العراق من خلال صراع الثقافة والسلطة؟ الكتاب ليس سرداً تاريخياً أو تكديساً للمعلومات. انه معالجة أخرى للمكونات الثقافية التي تضع العراق أمامنا بكل معطياته والامه وثرائه ومعنوياته وقسوته وعذوبته ورقته. انه الكل المتناقض المنسجم.

واذا كان هناك من يعرض لهذا الأمر كأنه آفة الآفات فان الموسوي يرفض ذلك. انه يراهن على القوة الكامنة في هذا الأمر. الرغبة في عدم الانسجام التي أرقت القادة والملوك منذ أيام الاسكندر. ألم يكن الاسكندر يسأل ارسطو عن سر هذه الصعوبة عند أهل العراق؟ هذا ما قاله أدباء بني العباس على الأقل، وما كرره الحصري القيرواني.

ولكن هذا ما التقطه العالم الاجتماعي علي الوردي الذي خصه الموسوي بذكر واسع. نعم . السؤال الذي يتكرر دائماً في الكتاب يخص الازدواجية وتأويلاتها : لكن الموسوي يرى فيها رغبة شعب مبتكر يعاكسه أهل السلطة بدل أن يغرفوا معه من هذه الرغبة في الابتداع والابتكار.

المعاكسة للتيار هي المحنة، وليس الاحتدام والعنفوان الداخلي القائم كما يبدو تاريخياً. هذا لا يعني التسليم بحتمية تاريخية. ذلك لأن المؤلف يلجأ الى منهجيات ميشيل فوكو، كما يلجأ الى أساليب علماء الاجتماع الجدد ومناهجهم ليعرض لانعكاسات هذا العنفوان في الحياة العراقية منذ الاستقلال الوطني السياسي أو الشكلي، وليضع الكتابات المختلفة في سياقات الجدل الثقافي يعرض الموسوي لمنهجيات المربين العراقيين: القوميين منهم كالحصري، و(الليبراليين) الآخرين كفاضل الجمالي ومحسن مهدي وعلي الوردي. هؤلاء جميعاً اشتركوا مع ابن خلدون وأخذوا من منهجياته وحاولوا أن يعرضوا لازدواجية البداوة والحضارة ... الخ. والمؤلف يغاير هذه بملاحظة السياق الآخر: أو النتائج التي ترتبت عن التربية الحديثة: قومية كانت أم ليبرالية. فماذا نقول بشأن حملة الشهادات العليا في الثلاثينات وحتى الخمسينات؟ ما هو دورهم ؟ وما دور الطبقات المتعلمة الجديدة ؟ وكيف تأثرت الجماعات السياسية بالتربية وبالأفكار التي جاءت الى العراق أو انبعثت فيه ؟ ولماذا بدت جميع هذه بدون استثناء كأنها شتلات ليست عميقة الغرس. المؤلف يعترف بالعنف الذي طال الجماعات السياسية والمفكرين، ولكنه يرى أيضاً محنة العسكر وظهور المحترف السياسي كمنتوج غير مكتمل، نوع من (الخدج) الذي لم يستكمل فترته بعد فداخله الفرح بالاكتمال. وهكذا أقحمت البلاد في محن ومشكلات لا قبل لها بها. هذه المحن حالت دون استكمال التربية على نطاق التعليم الجماعي العام. وكان أن تزايدت الفئات غير المتعلمة أو الهامشية جداً والتي تتحرك بغرائزها ويجري ملؤها بسهولة كما يجري أبطالها بيسر أيضاً. هذه الحركية ما بين الامتلاء والفراغ السياسي والاجتماعي، يصيغها المؤلف باسهاب، ويعززها بما يرد في القصص والقصائد والمسرح والفنون على مدى عدد من العقود منذ 1920 التي يتخذها الكتاب نقطة تكثيف خاصة تهم العراق ولازمة لهذا الموضوع. الكتاب غني ومشوّق أيضاً، ويعيدنا ثانية الى العراق من خلال أمنيتنا في أن نراه معافى، ليس في أذهاننا أو على أرض الواقع فحسب، ولكن أيضاً في سياق المكتوب والمنشور عنه. وكما قلت في المقدمة فالكتاب يستكمل مسيرة المؤلف في كتبه الأخرى، ليضع الثقافة العربية والعراقية هذه المرة في السياق الأساسي أو التيارات الثقافية السائدة عالمياً، لكي يفهم كما هو، لا كما يراد له.

ان العراق في هذا الكتاب لم يعد هامشاً غريباً، عبئاً ملقى على الطريق، لا، انه من قلب الحضارة، الى نبضها، لا بد منه، ولا بد له من الحضور، ولكن هذه المرة بحصيلته الثقافية، بزخمها وتناقضها، باحتفاليتها وبنفعها، وبكل ما يجعلها حيوية وطافحة بالتناقض ما بين الخيبة والأمل.

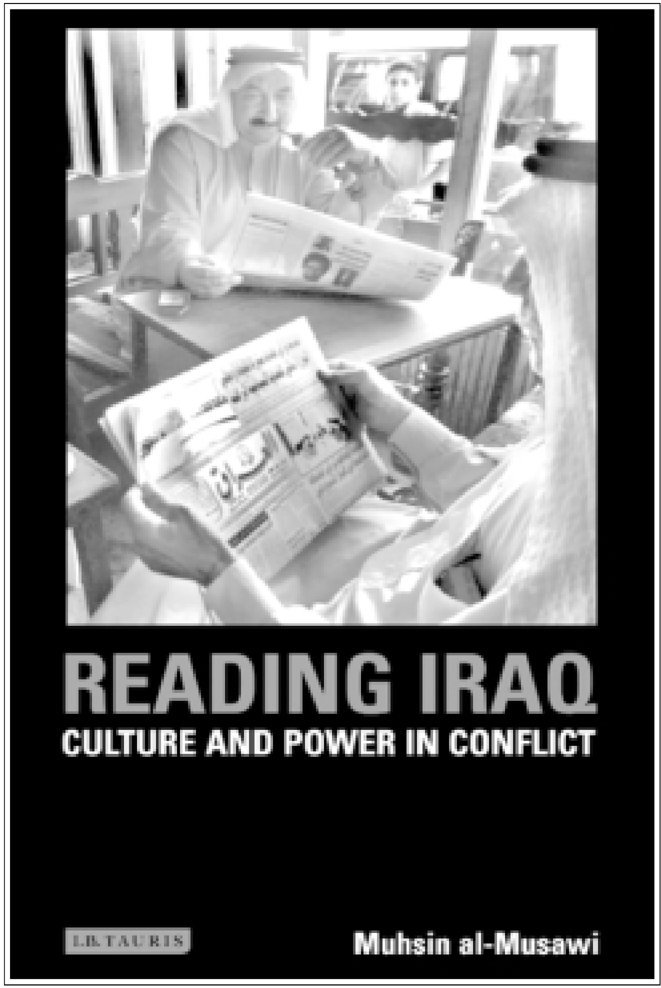

---

* محاضرة في جامعة ييل الامريكية

---

### هند أبو الشعر في أعمالها القصصية والشعرية الكاملة:

# تعدد في الرؤى والأشكال الإبداعية وبحث دؤوب عن عالم أفضل

**عمان ـ «القدس العربي» ـ من يحيى القيسي:**

من منشورات البنك الأهلي الأردني ودار ورد للنشر والتوزيع في عمان صدرت مؤخرا الأعمال الأدبية الكاملة للقاصة والباحثة د. هند أبو الشعر، وقد تضمنت المجموعات القصصية: «شقوق في كف خضرة» العام 1982، ثم «المجابهة» 1984، و«الحصان» عام 1990، «عندما تصبح الذاكرة وطناً» 1996، «الوشم» 2000، إضافة إلى بواكير قصصها، وأخرى من القصص الجديدة التي لم تصدر في مجموعات، وقصائدها الشعرية، ونصوص سردية وشعرية، ومشاهد مسرحية، وقد كتب الناقد د. شكري عزيز ماضي مقدمة لهذه الأعمال.

تتعدد اهتمامات د. هند أبو الشعر الإبداعية عبر مثابرة واضحة أنجزت خلالها عدداً من الإصدارات القصصية، كما ساهم تعمقها في الجانب الأكاديمي في تأليف عدد من البحوث التوثيقية والتأريخية. وقد عرفت أبو الشعر في بداياتها شاعرة نشطة لها مشاركاتها في الأمسيات الشعرية لا سيما أثناء دراستها في الجامعة الأردنية في نهاية السبعينات. وما لبثت أن هجرت الشعر واتجهت نحو القصة القصيرة، . كما كان لها اسهاماتها الواضحة في الفن التشكيلي من خلال المشاركة في العديد من المعارض، ومن جانب آخر تميزت أبحاثها التوثيقية والتأريخية بجهد عالٍ وبحث دؤوب في ما هو جديد في محاولة منها للتأسيس والتأصيل بعيداً عن النقل والاجترار وقد أصدرت في هذا الاتجاه «حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة»، اربد وجوارها «ناحية بني عبيد 1850 ـ 1928»، تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني «1516 ـ 1918». إضافة إلى تحريرها العديد من الكتب المتخصصة ومشاركاتها في المؤتمرات المحلية والعربية.

وهي اليوم تعمل أستاذة للتاريخ الحديث وعميدة لكلية الآداب والعلوم بجامعة آل البيت شمال الأردن، إضافة إلى رئاسة تحرير مجلة البيان الثقافية التي تصدرها الجامعة.

يقول الناقد د. ماضي عن هذه الأعمال في مقدمته:

«الأديبة هند أبو الشعر من هؤلاء المبدعين الذين أخلصوا لفن القصة القصيرة، وأسهموا في حفر مجراه، مع أن مشروعها الإبداعي لا ينحصر في حق القصة القصيرة، إذ ينطوي على أشكال إبداعية متنوعة:فهي تكتب القصة القصيرة والشعر والمشاهد المسرحية وتمارس الفن التشكيلي وفوق هذا كله فإنها كاتبة نصوص، وهذه النصوص تضع نفسها في منطقة الحدود المضطربة بين الأجناس المعروفة أوالأنواع المألوفة، إذ تتقاطع مع الشعر والنثر وتتداخل في مستوى ما مع الإبيجراما، وقصيدة النثر، ومع ما اصطلح عليه مؤخرا «القصة القصيرة جدا»، فهي نصوص مكتوبة تطرح إشكالية التصنيف وتجربة الحدود والقيود، لكن القصة القصيرة ظلت عشقها الأول، والحقل الفريد الذي غرست فيه سنوات طوالا من عمرها ـ باقتدار لافت ـ تجسيد صوت أدبي خاص، صوت هدفه الفن والجمال، وعماده الإنسان، وغايته الحرية والعدالة معا، لهذا ترى أن أسلوبها التعبيري على مستوى الفن ـ يلون وظلل وينحت ويصقل ـ وفي البنية الأعمق يتفاعل مع جدلية الحياة وتناقضاتها، فالأسلوب ليس مجرد وسيلة في الإنشاء والبناء، وإنما هو في اللحظة عينها طريقة في الكشف والإدراك أيضا».

ويضيف الناقد د.ماضي « فالقارىء لقصص هند أبو الشعر يحلق في فضاء سردي رمادي قاتم ومرعب فالمناخ العام مأساوي كئيب، والغيوم مكفهرة ومرعبة، لكنها ـ وهذا من خلال نمو الصور السردية والحوارية ونسيج النهايات ـ غيوم متحركة لهذا تبقينا القصص في فزع متصل وفي يقظة دائمة، ربما لأن الأجواء المأساوية التي تهيمن على العالم القصصي لا تتمحور حول الأنا / الذات الفردية بل ترتبط بالآخر / المصير الجماعي / المصير الإنساني، وربما لأن القصص تومىء وسط الظلام الحالك إلى أفق بعيد به كوة صغيرة، كوة الخلاص أو به قبس يمكن أن يتحول إلى شمس لاهبة مطهرة، لكن بروز المصير الإنساني / مصيرالجماعة واختفاء الذات من خلال تقنية الأصوات المتعددة في عدد من القصص، واختفاء السرد بضمير الغائب في عدد آخر ـ لا يعني أن الذات بمنأى عن الفزع والرعب أو بعيدة عما يحدث أو أنها مجرد شاهد على ما يجري، بل إن الذات وسط اللجة، وخلاصها يكمن في خلاص الجماعة....، ويشعر القارىء من خلال ما يشيعه فينا السرد بشكل مباشر حينا وغير مباشر في أغلب الأحيان أن في نفس الكاتبة حركة موارة تنفث معاناة متراكمة مزمنة، هذه المعاناة تدفعها للكتابة بحثا عن التناغم والانسجام، فتكتب وتكتب، وتصوغ صورا رمزية وأخرى سردية انسيابية تجسد الواقع وحركته وما يعتريه من خلل وتناقضات، وفي كثير من الأحيان لا تهتم بالصنعة وقواعدها وحدودها، بل تتمرد عليها، وعندما تشعر أن اللغة ـ أداتها الوحيدة ـ لم تخذلها تختبىء وراء الكلمات المشعة والصور الموحية، وعلى الرغم من الفوضى والارتباك والقتامة والفزع ـ والأدق بسبب ذلك ـ تمسك القلم كما يمتشق الفارس حسامه وهو يتهيأ للمعركة الفاصلة، كأن الكتابة هي فعل الكينونة الوحيد، ربما الأخير، وكأنها من ـ خلال الكتابة ـ تعجن العالم وتعيد تشكيله وترتيبه، لكن الصدى يأتي باهتا، صدى تغيير العالم وإعادة ترتيبه ـ فتستفحل مشاعر الحزن والألم والفزع وتمتزج بالغضب والتمرد، فتتموج معاناتها وتنداح، حتى تغرق العالم، لكنها ما تلبث أن تنظر إلى «الأفق البعيد» فتلوح لها شمعة أو ذبالة شمعة، فتمتشق قلمها / حسامها من جديد وتعاود الكتابة، فالكتابة ليست للمتعة الخالصة، إنها أداة مهمة من أدوات البحث عن عالم أفضل. بقي أن أشير إلى أن الأعمال الكاملة جاءت في مجلد من 425 صفحة، وتشكل إضافة مهمة إلى ما سبق انجازه من إصدارات الأعمال الكاملة من منشورات البنك الأهلي الأردني مثل: الأعمال الكاملة للأدباء:هاشم غرايبة، يوسف ضمرة، تيسير سبول، سالم النحاس، فخري قعوار، وفايز محمود.

وهي تشكل للباحثين والقراء فرصة ثمينة للإطلاع على الأعمال الأدبية لهؤلاء الكتاب، ودراستها، بعد أن كانت متفرقة في الإصدارات غير المتوفرة في المكتبات، والتي نفد بعضها منذ سنوات، ويشرف الكاتب والإعلامي ناهض حتر على هذه الأعمال من خلال إدارته للدائرة الثقافية في البنك الأهلي الأردني.

هند أبو الشعر
الأعمال الكاملة

---

## قص

# أمنية موت

**لنا عبد الرحمن***

■ لم يكن غيابها لفترات من الزمن ثم ظهورها المفاجئ هو الذي يسبب شكه في حقيقة وجودها في حياته، ولا المساحة الصغيرة التي تحتلها في فضاء الغرفة حين يلتقي بها، بل كان حضورها الميتافيزيقي الذي يطغى على واقعها المادي يربكه لأيام بعد أن تغيب. لو حاول الان تذكر تفاصيلها فلن يحضر في ذهنه الا صوتها المتردد المتسائل دوما، واسمها المكون من ثلاثة أحرف.

### طقس

يعرف أنه سيتمكن من نسيانها لو كانت تواصل غيابها بلا أي بارقة ظهور، وكان من الممكن فعليا أن ينسى تأثير وجودها الميتافيزيقي المغوي الذي يستمر لايام بعد غيابها، لكنها حين تعاود الكتابة له عبر الايميل أو عبر الرسائل الهاتفية القصيرة يعود لدائرة تذكره لها، ربما لهذا السبب لا يمكنه نسيان عبارتها التساؤلية التي كتبتها له بعد لقائهما الثالث قائلة «هناك أحاسيس تسير محاذية للحب والرغبة، هل تعرفها؟» تترك أسئلتها معلقة في الفراغ لا تنتظر اجابته ولا تلح عليها، فيما هو يركن للصمت والتجاهل ربما رغبة في الفرار وربما خوفا جنونيا من أسئلة يفرضها الحضور كما يفرض الغياب أسئلته. لكن مزاجها الضبابي الغامض لا ينفع مع مدينة مثل بيروت فصولها محددة وواضحة المعالم، بيروت الماطرة بغزارة أيام الشتاء، الموجعة في شمسها أيام الصيف لم يكن ليتماشى طقسها مع مزاج سحر المائل الى العتمة، لذا ظل يقرنها في خياله بالعواصم الضبابية والليالي البيضاء، ربما ستجد ذاتها أكثر في ذاك الطقس الغامض لأن بيروت مدينة تكشف مسراتها وأوجاعها بافراط. وفي الوقت الذي اعتاد هو السير فيه تحت وهج الشمس متصعلكا بالتمتع بدفء شمس الربيع كانت هي تخبره انها لا تحب فصل الربيع لأنه فصل ضعيف لا حضور له وشمسه فضولية تتجسس على حياة البشر. حكى لها أنه يحب احتساء البيرة في حانة «جدل بيزنطي» والاستماع لاصدقائه الشعراء وهم يلقون قصائدهم، لكنها قالت انها تفضل مشاهدة فيلم على شاشة الكمبيوتر.

### رغبة 1

كتبت له على ورقة بيضاء «أحب أصابعك». وظل حائرا لا يعرف كيف يفسر كلماتها، وكيف يربط بين ما تقول وما لا تفعل. كيف تعبر عن أحاسيسها بجرأة ثم لا تتوانى عن الاختفاء لايام أو لاشهر تخلق بعدا يدفع الكلمات للنسيان، كلما نظر لأصابعه تذكر رغبتها في ملامستها واقصاء هذه الرغبة وتلاشيها بين ظهور وغياب. لذا ظل يتساءل لماذا كتبت له على ورقة بيضاء وهما جالسان معا «أحببت أصابعك أرغب في ملامسة كل أصبع على حدة».

لم لم تقلها له مباشرة؟

لم لم ترسلها عبر البريد الالكتروني، هل رغبت في تأمل ملامحه وهو يقرأها؟

### افتراض

فكر أن الحل الوحيد أمامه قلب دفة الشك وتحويل وجودها المفترض والعبثي في حياته الى أمر حسي وملموس. لكنه أبدا لم يفكر بالجنس معها بقدر ما كان شغوفا برؤيتها وهي ثملة، لم يكن بامكانه التخيل أنه يمسكها في سريره ويحول كل تلك التساؤلات الى واقع ملموس من الممكن أن ينتهي بعد لحظة فيض. ظل مولعا أكثر بفرضيات يبنيها ويهدمها عن طبيعة علاقتهما. ردد في داخله كلمة الولع واعترف لنفسه أنها الكلمة المناسبة التي تتماشى مع تخيلاته، اعترف لنفسه لأول مرة أنه يساهم في بناء وجود «سحر» الميتافيزيقي في حياته ويستعذب أكثر البحث في اللغة عن المفردة المناسبة التي تصف أحاسيسه.

كان مولعا بالانتظار.

### كاميرا

الكاميرا تلتقط التفاصيل الصغيرة للوجع.

الكاميرا تلتقط الحزن والحب والحرب، وهو يلتقط بعدسته صورة لها وهي تحكي له عن خوفها من التفجيرات والاغتيالات التي تتكرر في بيروت.

كانت قد كتبت له في الإيميل الأول الذي أرسلته بعد أيام من تعارفهما عن فيلم شاهدته ويحكي قصة حب الكاتبين ألفريد دي موسيه وجورج صاند، ثم حكت له عن حبها لبطلة الفيلم الممثلة الفرنسية جولييت بينوش، وكتب لها أنه أحب جولييت بينوش حين شاهدها في فيلم المريض الإنكليزي، لكنه لم يعرف مدى تأثرها بقصة الحب بين الكاتبين الا بعد أن أهدته سي ـ دي للفيلم وسألته عن التفاصيل الصغيرة التي لم تلتقطها الكاميرا.

### شريط أحمر

بعد لقائهما منذ أيام أرسلت له على هاتفه المحمول عبارة بصيغة الغائب قالت فيها «لو التقيا في زمن آخر كانت ستحبه». تجاهل عبارتها وأرسل ايميلا حكى فيه عن نصه «أمنية موت» وعن بطله حارس الهواء الذي يسعى لبناء جدار حول الكرة الأرضية ليعزلها عن الفضاء الخارجي. هكذا صار يكتب لها بين حين وآخر عن أمنية يهجس بها بطله وتتلخص في رغبته في أن يموت وهو يضع اللبنة الأخيرة في عزل الأرض، أمنية تبدأ وتنتهي مع الرغبة، الرغبة في البناء للعزل، ثم الرغبة في الانتهاء أي الموت والخوف العارم بينهما.هكذا أحس في لحظة ما باعجاب شديد نحو بطله وأحلامه الوجودية التي لن تتحقق لا بالبناء ولا بالهدم، تخيل أن بطله يقف على حافة الكرة الأرضية ويطوقها بشريط أحمر ليشرع بالبناء ثم فجأة يسقط منتحرا قبل ان تتحقق أمنيته.

### رغبة 2

كان يحكي لها عن بطله في الوقت الذي يوازي تخيلاته عنها برغبة مضمرة في الايلام، حيث فعل الايلام وحده سينقل وجودها في عالمه من خانة الحضور الغائم المشبع بالضباب والغموض الى خانة الوجع. على أحدهما أن يجرح الآخر ليتأكد من حقيقته ولما كانت هي الطرف الأكثر غيابا وضبابية فانها لن تقوم بهذا الفعل لأنها على مدار عام ونصف من علاقتهما لا تبرع بالحضور الا من أجل الغياب.

لماذا لا يسحب منها طرف الخيط ويتحكم وحده باللعبة منهيا بذلك كل تساؤلاته حول وجودها ككل في عالمه. في تلك اللحظة رغب أكثر في أن يراها ثملة جدا، أن يقدم لها زجاجة نبيذ أبيض تحبه، ويتأمل وجنتيها المتوردتين وضحكاتها الرائقة. تذكر مشهدا من رواية «عالم بلا خرائط» تذكر موت البطلة. ماذا لو أمسك بيد «سحر» وقام بجرحها بموس حاد وهي ثملة، حتما لن تتمكن من مقاومته. في تلك اللحظة حين يشاهد دمها الأحمر يتدفق من يدها يسيل على يده يلامس أصابعه التي تحبها سيتأكد حتما أنها كانت حقيقية.

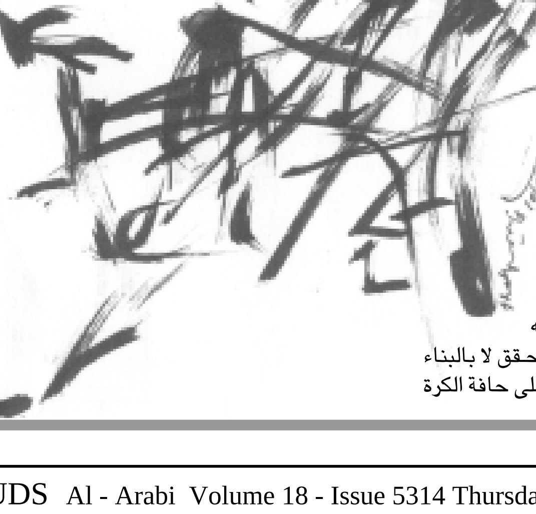

---

* كاتبة من لبنان

---

## اصدارات جديدة

### مجموعة شعرية لسعدية مفرح

**لندن ـ «القدس العربي»:**

صدر مؤخراً للشاعرة الكويتية سعدية مفرح ديوان جديد عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بعنوان «تواضعت أحلامي كثيراً».

يقع الديوان في 96 صفحة من القطع المتوسط. الشاعرة تعمل محررة بالقسم الثقافي في جريدة القبس الكويتية.

مقطع من أحد قصائد الديوان:

أريد ليلاً قصيراً
مؤطراً بالهدوء
ينتهي بموت
لا يعني أحد

سبق أن صدرت للشاعرة 4 مجموعات شعرية هي:

آخر الحالمين حان (1990 ـ 1992)
تغيب فأسرج خيل ظنوني (1994)
كتاب الآثام (1997)
مجرد مرآة مستلقية (1999)

### «فك الذئب» يروي الحرب بطيبة كالسذاجة

**بيروت ـ من جورج جحا:**

مرة اخرى يطل الكاتب اللبناني جان سالمة في عمل له بتلك السمات التي تميزت بها أعمال سابقة له وابرزها قدرة جذابة على السرد الذي يتحرك عنده رقراقا مؤثرا ..لكن مع نقيصة دائمة البروز يمكن اختصارها بقول يبدو غريبا هو « قصّ جميل لكن دون قصة».

الا ان كتاب سالمة الاخير «فك الذئب» الذي ضم قصتين طويلتين الاولى حملت عنوان الكتاب نفسه والثانية كان عنوانها «ليلة الهجوم « حمل امرا اضافيا الى ما ورد وهو انه قد يكون «ورّط» سالمة في تناول الحرب اللبنانية بطيبة جاورت السذاجة في النظر الى احداث كبيرة كالحرب اللبنانية فجاء الامر تبسيطيا وتبشيريا وجاءت حصته «القصصية» اقل من تلك التي تمتع بها القسم الاول. وبدا كثير مما اورده القسم الثاني من الكاتب في حديثه عن الحرب باستثناء وصف بعض اهوالها اقرب الى خطاب «طوباوي».

وموضوع الحرب الاهلية اللبنانية عند قسم كبير من الروائيين اللبنانيين الذين تناولوها تميز كما يقول البعض بتبسيط جعل الحرب تبدو اقرب الى خلاف بين اشرار لا علاقة للبنانيين بهم وان الحب والوئام كانا سائدين في لبنان وان كل الويلات كانت من عمل الخارج. ويرى هؤلاء ان في هذا فضلا عن التقصير في فهم الحرب واسبابها امرا خطيرا اخر وهو كتابة ما يشبه تاريخا بديلا هو في افضل الحالات ومع كل النوايا الطيبة تاريخ مزور غير صحيح فالحقيقة وحدها هي المنقذ. واذا لم يكن اللبنانيون على قدر كبير من الصراحة والنقد الذاتي «في العمق « عند الحديث عن «حروبهم» فاخطاء الماضي وشروره ستتكرر بسب التغافل عنها وتصوير الاحداث على غير ما كانت عليه. وقد اشارت الشاعرة بلقيس ابو الخدود صيداوي وان بلطف كبير لايعرف منه القارىء اهو موافقة ام مخالفة لراي الكاتب وذلك في المقدمة التي كتبتها لعمل سالمة الاخير الى هذا الامر بقولها ان «ليلة الهجوم» «تبين بقناعة وصدق ان الحرب التي اشتعلت في لبنان ابتداء من العام 1975 وحتى العام 1991 ... هذه الكارثة ما كانت للحظة من الزمن حربا خالصة بين اللبنانيين انفسهم لا على خطوط طائفية مذهبية ولا على غير ذلك مما قد يختلف بشانه ناس لبنان..».

وقالت ان الكاتب شاء ان يظهر ان «مأساة الست عشرة سنة...انما اصطنعها غرباء... متخذين من وطننا ومن بعض اهله ساحة و ادوات للصراع». ولعل سالمة وهو صاحب حس مرهف ادرك بينه وبين نفسه هذا المأخذ على عمله فكتب في تمهيد للقصة تحت عنوان «كلمة اللحظة الاخيرة» بقوله « فالقصة كماتبدو غير مقبلة على الناس بجديد...وليت كلماتها ظلت طي اوراق بيضاء..».

تبرز في القصة حيث تبتعد عن الوعظ بعض سمات كتابة سالمة خاصة في الوصف الدقيق والواقعي والشعري في الوقت ذاته كقوله في وصف «هدنة» موقتة من مئات من امثالها عرفتها الحرب «وكانت المدينة تسبح في بحر من الظلمة.والعيون تكاد لا تتبين بصيص نور فهنا ظلام وهناك ظلام وهنالك ما لست ادري.. وفي القلوب قنوط وظلام اشد.. ورعب ينتظر.. وقد غمر الكون سكون شامل بعد ان استراح المدفع وتوقف ازيز الرصاص فهدأ كل شيء وكأن لم تكن ثمة معارك طاحنة قبل ساعة من الزمن». الا ان الحرب عنده كما عند عدد من الكتاب اللبنانيين ليست نتيجة مصالح واهداف وخطط محلية واقليمية ودولية انما هي اقرب الى خلاف عائلي عادي بسيط استغله الغرباء..او هي تبدو احيانا اقرب الى حدث طبيعي مفاجىء او عمل من اعمال «البلطجة» قام به بعض الافراد. يعرض سالمة اراء مختلفة بلسان عدد من الاشخاص عن الحرب لكنه يميل بوضوح الى الراي التبسيطي الذي لا يتعاطي بجدية مع الواقع والذي يورده بلسان شخص من اشخاص القصة.. انه لولا الغريب «لعاش الجميع في وفاق واطمئنان دائمين.ان مشكلتنا بل مصيبتنا يا اخي منذ مئات السنين ليست متأتية من هذا الفريق اوذاك بل من الغريب الذي يريد ان يسيطر علينا معا». اما القصة الاولى «فك الذئب» فتحفل باجواء الخرافات والرقى والتعاويذ والكتابة لفك الرصد ووقف موت الاطفال. فالياس الذي كان اطفاله يموتون في طفولتهم يتلقى نصحا بقتل نسر واستعمال مخلبه في منع «قرينة» الطفل من قتله. ويصف بطريقة مؤثرة جدا وبتعاطف انساني مؤثر تحليق نسر وانثاه وكأن البطل يترد في قتل «حبيبين» من هذاالنوع لانقاذ ابنه. وعندما لم ينجح الامر يعمل بنصيحة غجري طلب منه ان يقتل ذئبا ويستعمل قسما من فكه لوضعها في حجاب يحمي طفله. نجح الامر وكان الحجاب يحمي الطفل الذي انتقلت عائلته من حلب الى لبنان.الا انه عندما صار شابا وبعد ان ترك الحجاب في المنزل قتل بنيران الحرب الاهلية اللبنانية التي كانت في بداياتها. الذي يميز القصة الاولى هو قدرة الكاتب على السرد الجميل.. لكن سرده في النهاية لا «يصل» الى قصة..انما يورد وان بجمال وانسياب وبقدرة على شد القارىء اليه بشغف..اخبارا ومعتقدات كهذه. يصف بدقة وبجمال وبتفاصيل لا يبدو عليها مظهر من مظاهر الحشو بل ياتي كل شيء في مكانه.الا ان الامر لا يخلق قصة منسوجة نسجا فنيا متلاحما او «وحدة» قصصية متكاملة.انه اشبه بمن يوصف بانه يغرق في تفاصيل جميلة فلا يصل الى شأن «كلي». (رويترز)